الحديث الرابع: ((عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا))

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

خلاصة—هذا البحث يبحث في الحديث الرابع: ((عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا)).

الكلمات الافتتاحية: الحديث الرابع، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله، حتى تملوا.

I. المقدمة

التعرف على الحديث الرابع: ((عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا)).

II. موضوع المقالة

الحديث الرابع: قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا))، وفي رواية لمسلم: ((فوالله؛ لا يسأم الله حتى تسأموا)).

هذا وصفٌ يليق بجلال الله وعظمته، ليس فيه نقصٌ ولا يشبه ملل المخلوقين، ومن آثاره قطع الثواب عند قطع العمل.

وقول من قال: معناه: إن الله لا يقطع عنكم الثواب حتى تقطعوا العمل، ليس بصحيح؛ لأن هذا أثر من آثار الوصف أن الله لا يقطع الثواب حتى يقطع الإنسان العمل، وهذا من أثر الثواب.

وجه الإشكال في الحديث: كما أن من آثار الرحمة أن الله يرحم عباده، ومن آثار رحمته أنه يرح م عباده، ومن أثر الغضب الانتقام، وكذلك تفسير الملل بأنه قطع الثواب هذا تفسير بالأثر، والصواب: أن الملل وصفٌ يليق بجلال الله وعظمته، لا يُشْبِهُ ملل المخلوق، وليس فيه ضعف ولا نقص.

قال أبو إسحاق الحربي في (غريب الحديث): قولـه: ((لا يَمَلُّ الله حتى تملوا)): أخبرنا سلمة عن الفراء، يقال: مللت أمَلُّ: ضجرت، وقال أبو زيد: ملَّ يَمَلُّ ملالة، وأمللته إملالًا، فكأنَّ المعنى: لا يملُّ من ثواب أعمالكم حتى تملُّوا من العمل. اهـ.

وهذا ليس تأويلًا، بل تفسير الحديث على ظاهره؛ لأنَّ الذين أوَّلُوه كالنووي في (رياض الصالحين) باب الاقتصاد في العبادة.

والبيهقي في (الأسماء والصفات) فصل: ما جاء في الملال، قالوا: معنى لا يَمَلُّ الله أي: لا يقطع ثوابه، أو أنه كناية عن تناهي حق الله عليكم في الطاعة.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: ((فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا)) من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري، لا نقص فيه؛ كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر.

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله: هل نستطيع أن نثبت صفة الملل والهرولة لله تعالى؟

فأجاب: جاء في الحديث عن النبي ع قولـه: ((فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملوا))، فمن العلماء من قال: إنَّ هذا دليل على إثبات الملل لله، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق؛ إذ إنَّ ملل المخلوق نقص؛ لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء.

أما ملل الله؛ فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله تعالى على وجه الكمال، وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالًا.

ومن العلماء من يقول: إنَّ قولـه: ((لا يَمَلُّ حتى تملوا)) يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل، فإنَّ الله يجازيك عليه، فاعمل ما بَدَا لك؛ فإنَّ الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا، فيكون المراد بالملل لازم الملل.

ومنهم من قال: إنَّ هذا الحديث لا يدل على صفة الملل لله إطلاقًا؛ لأنَّ قول القائل: لا أقوم حتى تقوم لا يستلزم قيام الثاني، وهذا أيضًا: ((لا يمل حتى تملوا))؛ لا يستلزم ثُبات الملل لله.

وعلى كل حال، يجب علينا أن نعتقد أنَّ الله تعالى مُنَزَّه عن كل صفة نقص من الملل وغيره، وإذا ثبت أنَّ هذا الحديث دليل على الملل؛ فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق. اهـ.

قال أبو يعلى: "اعلم أنه غير ممتنع إطلاق وصفه تعالى بالملل، ولا على معنى السآمة والاستثقال ونفور النفس عنه".

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق :شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م.

٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٣م.

٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤. الزركشى، بدر الدين الزركشى، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، المدينة المنورة، مكتبة الدار السلفية، ١٤٠٥هـ.

٦. بن منبه، همام بن منبه ، صحيفة همام بن منبه ، شرح وتحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.

٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري ، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.

٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

٩. أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.

١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم، ١٩٨٦م.

١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.